الفتح الثاني عشر:

القرآن معجزة عقلية

القرآن معجزة عقلية يقوم إدراكها على التفكير والتدبر والفهم والعلم ومحاربة التقليد الأعمى أو الجمود والانغلاق والتشدد والتطرف أو التسليم لتبعية الهوى أو التأويل والفهم الخاطئ . وعشرات الآيات تؤكد هذه الحقيقة ، ويكفي تأمل المفردات التالية في آيات القرآن لتكون دليلاً قاطعًا : أولى الألباب ، أفلا تعقلون ، يتفكرون ، يعقلون ، يتدبرون ..إلى آخر ألفاظ الإدراك والفهم في آيات القرآن الكريم كما في الآيات الكريمة :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:109] .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ

﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد:3] .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:82] .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام:97] .

﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة:197] .

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:190] .

ومن هنا يتأكد لنا أن التعامل مع هذه المعجزة العقلية ينبغي أن يكون في مستوى الرشد والوعي المناسب لها ، وألا نتراجع بهذه المعجزة العقلية إلى المعجزات الحسية ، وأن نرقى بهذه المعجزة العقلية بعيدًا عن الأوهام والخرافات .

والقرآن معجزة عقلية لها الخلود ؛ لدوام تأثيرها في العقل على مر العصور ولا ترتبط بعصر نزول القرآن ، كما هي الحال في المعجزات الحسية ،والعقل الإنساني مطالب في كل لحظة وكل زمن يتدبر الخطاب الإلهي وفهمه فهمًا حضاريًا إيمانيًا عقلانيًا وعلميًا في اعتدال ويسر واستنارة .

وليس في القرآن العظيم في آياته ما يخلو من إشارة دالة أو لحمة موحية للعقل الإنساني تدله وترشده إلى العلم والمعرفة إلى الحد الذي جعل كثير من العلماء يعتبر النظر العقلي وأدلته التي أشار إليها القرآن وجها من وجوه إعجازه إن القرآن يعتبر نقطة تحول حاسمة لا في تاريخ الدين والحضارة الدينية فحسب بل أيضًا في تاريخ الفكر والعلم بالمعنى الديني والعلمي والفلسفي وذلك لاحتواء القرآن على

المبادئ والسنن التي تمثل الضوابط والمتطلبات الإلهية للعلوم والمعارف الإنسانية على النحو لذي يجعل (الوحي) مع (الوجود) مصدرًا ومنطلقًا للعقل الإنساني في هذه العلوم والمعارف . وقد بدأ النظر العقلي والتفكير والبحث وإثارة الأسئلة منذ الأيام الأولى لنزول القرآن وما نشأ من آياته من يقظة فكرية ، وعلى أساس من تعظيم القرآن للعقل والعلم والمعرفة ، ورفعه وإعلائه لشأن العلماء و أيضًا على أساس ما اشتمل عليه من فكرة (الحق) ومن أصول النظرة إلى الكون ومن هنا أقبل المؤمنون بالقرآن على النظر والتفكر والبحث والتبصر والتدبر الذي جعلهم القرآن أساس الإيمان ، وكانوا أيضًا أساس بناء الحضارة الإسلامية . إن النظر العقلي الذي دعا إليه القرآن العظيم لم يكن نظرًا مجردًا بل كان وسيلة لهدف وغاية هي نفسها الغاية من وجود الإنسان على هذه الأرض لأن الإنسان هو محور اهتمام القرآن وهو الذي جعله الله خليفة في الأرض وفضله على كثير من سائر المخلوقات وميزه بالعقل والإدراك والوعي من نفخة الروح فيه وحمَّله أمانة عمارة الأرض وصنع الحضارة فيها وليكون مسئولا عن استخدام وسائل الإدراك كلها الحسية : ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:36] وما زاد عليها من خلال سطوة العقل وقدرات البصيرة .(E . S . P) (1) هذا وإن النظر العقلي في القرآن العظيم كان من ضمن غاياته :

1-بناء العقل البشري بناء سليما عن طريق التفكير الصحيح والمنطقي القويم الذي جاء به القرآن .

2-إدراك أسرار الموجودات عن طريق دراسة حقائق الأشياء ودراسة علمية دقيقة شاملة واكتشاف الجديد فيها وفي كل جوانب الحياة .

3-الإيمان بوجود خالق عزيز حكيم وإخلاص العبودية والعبادة له وحده

(1) (EXTRA SENSORY PEREPTION)

دون شريك .

4-إقامة الحياة في الأرض على أسس من الحق والعدل وفي إطار التعاون على الخير والإصلاح والصلاح (البر والتقوى) بتسامح ومساواة وتقوى وإخاء إنساني شامل .

5-تنمية قدراته وتكوينه بالعلم وصحيح الفهم والتفكير والتدبر إيقاظًا للعقل من الغفلة والجمود والتقليد الأعمى والتطرف والتشدد والانغلاق والتعصب ، لأن إيقاظ عقل الإنسان هو باب تكريمه وهدايته وتمدنه وحضارته .

أما مفهوم(التسوية) للبشر ثم (التعديل) للإنسان كما حدثنا القرآن العظيم فيشير إليه في جانب منه اختلاف الإنسان عن أرقى الحيوانات في حوالي 2٪ من شفرته الوراثية العاملة وفي هذه النسبة يكمن سر التفوق المعرفي الشاسع للجنس البشري على غيره من الحيوانات إذ أن هذا الاختلاف في نسبته الضئيلة أدى إلى نمو ضخم للقشرة المخية أضاف مخزنا للمعلومات في خلايا المخ يتسع لحوالي عشرة تريليونات (واحد على يمينه 13 صفر) معلومة إضافية (BIT) .ويقول لنا القرآن العظيم :﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس:86] .وتوضح مفهوم هذه الآية القرآنية الحقائق التالية : « يبلغ حجم مخ الطفل الوليد ربع حجم مخ الإنسان البالغ ثم ينمو المخ ويمر بعدة أطوار إلى أن يكتمل نضجه ، ويتقدم العمر الإنساني ويطرق أبواب الشيخوخة .فيصاب المخ بالضمور وتنخفض عدد خلاياه العصبية فترق قرته المخية ويتباطأ التواصل بين مراكزه المختلفة كما ينخفض معدل إفرازه للناقلات العصبية الكيميائية .. ويصحب هذا الانتكاس تدهور في وظائف المخ العقلية والوجدانية والسلوكية والشخصية ، وفي الحالات الشديدة (عند الشيخوخة) يستمر التدهور التدريجي حتى يفقد الإنسان ذاكرته وشخصيته تمامًا ويصاب بسلس البول والبراز ويحيا حياة حيوانية لا يعي منها

شيئًا ما حوله ويحتاج لمن يقوم بإطعامه والاهتمام بجميع حاجاته(1). وفي كتاب «الطب النفسي المعاصر» الصادر عام 2009 للأستاذان الدكاترة أحمد عكاشة وطارق عكاشة يقسم المؤلفان التغيرات التي تصيب مريض عند الشيخوخة إلى أربعة مجموعات كالتالي :

1-تغير عقلي : فيضطرب الفهم ويتشتت الانتباه ويصعب التركيز وتضمحل الذاكرة تجاه الأحداث القريبة أولا ثم تمتد لتشمل كل حياة الفرد ، مع اضطراب في تعرف الزمان والمكان وتدهور القدرة على الحكم والتقدير السليم مع التأرجح الواقع في درجة الانتباه .

2-تغير وجداني : يظهر عدم التناسب الوجداني والضحك والبكاء دون سبب وبطريقة اندفاعية فجائية .

3-تغير سلوكي: يسلك المريض سلوكًا غريبًا عن طبيعته كالاستغراق في الجنس واستعراض أعضائه التناسلية أمام زوجته وأولاده وأحيانًا أصدقاؤه مع التصرف الصبياني في كثير من نواحي نشاطه العام .

4-تغير في الشخصية :ويأخذ ذلك طابع الأنانية والسلبية وكثرة الطلبات وضيق الاهتمامات والعزلة عن الناس مع حب التملك والسيطرة .

القرآن والتربية

أسس التربية في القرآن الكريم تقوم على محورين :

المحور الأول :تقوية الإيمان ؛ إذ هو الدافع والمحرك لكل الفضائل .

المحور الثاني : العمل الصالح الموافق لهدى القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ

(1) مقتطفات من كتاب »كيف بدأ الخلق « الفصل التاسع «نشؤ الإنسان» للأستاذ الدكتور عمرو شريف وفيه إشارة إلى ما جاء في كتاب «الطب النفس المعاصر» الذي ذكرناه .

ويرجى به وجه الله – عز وجل – فالرجل الذي جاء إلى رسول الله ﷺ يستفتيه في حاله قائلاً : يا رسول الله . إني أقف الموقف العظيم وأعمل العمل الكبير أريد وجه الله ، غير أني أريد مع ذلك أن يقول الناس عني خيرًا ، إنه رجل مغرم بالشهرة والثناء ، فأنزل الله فيه آخر سورة الكهف ، قال الله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف :110] .

وتقوم التربية في القرآن على الإقناع والترغيب انطلاقًا من أن الإكراه على الفضيلة لا يصنع الإنسان الفاضل ، ولذلك ركز القرآن في التربية الإيمانية على إقناع العقل بهدي القرآن من أوامر ونواهٍ بإظهار الحكمة من ورائها وبيان الثمرة التي تُرْجَى من طاعة الله ، وبيان العاقبة لمن عصى ، فمثلاً حين يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نؤمن به فإنه يبين أحقيته بهذا الإيمان فهو فاطر السماوات والأرض وهو المحيي وهو المميت ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر:3] .

وحين ينهانا الله – عز وجل – فإنه يبين الحكمة من هذا النهي كما في قوله تعالى في سورة الآداب الإنسانية والأخلاق الاجتماعية (الحجرات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات:11] .

ومثل ذلك في القرآن كثير ، فالله – سبحانه وتعالى – يقرن الأمر بعلته ويقرن النهي بعاقبته .

ثم ضرب القرآن الكريم أمثلة عملية من تاريخ البشرية لتكون نموذجاً تطبيقيًا لمن اتبع وأطاع ففاز ، ولمن خالف وعصى فضلَّ وهلك .

إنها نماذج عملية للتحذير كي لا تقع فيمثل ما وقعوا فيه فنضل ونشقى ، وهكذا يغرس القرآن الكريم في عقول الناس وفي قلوبهم أدب الإيمان حتى يصيروا قرآنيين متأسين بحبيبهم المصطفى ﷺ الذي وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها بقوله :«كان خلقه القرآن» لقد كان ﷺ قرآنًا يمشي على الأرض وكان كما قالت أم المؤمنين «قرآنا حي» .

القرآن ونماذج الفضيلة :

لقد قدم القرآن الكريم أفضل النماذج الهادية لنقتدي بها ، فنكون ممن رضي الله عنهم وتولاهم بعنايته ، فقدم لنا نموذجًا للعفة والطهارة نقتدي به فلا نسقط في الفتنة ولا تزيغ قلوبنا مع الهوى ، يتجلَّى هذا النموذج واضحًا في نبي الله يوسف عليه السلام وقصته مع امرأة العزيز ، واستعصامه بربه ، فنجَّاه الله – عز وجل – وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ يوسف:33] .

كما قدم لنا القرآن نموذجًا للقوة مع الأمانة ،وتجلي هذا النموذج واضحًا في نبي الله موسى – عليه السلام- وذلك حين سقى لابنتي شعيب – عليه السلام – وغلى ذلك تشير الآيات الكريمة :﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص:23- 26] .

ويقدم القرآن الكريم نموذجًا هاديًا للبحث المنهجي والتفكير العلمي وعدم التبعية للموروث الخاطئ والتقليد العمى ،وقد تجلى هذا النموذج في نبي الله

إبراهيم – عليه السلام- في قصة إيمانه وإعراضه عن عبادة الشمس والقمر حتى هداه الله لعبادة الحق الواحد الأحد : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام:75- 76] .

كما لفت القرآن الكريم أنظارنا إلى نموذج فريد في الصبر على البلاء ، وتجلَّى هذا النموذج واضحًا في نبي الله أيوب – عليه السلام- الذي صبر على ابتغاء مرضاة الله وكان دعاؤه في أدب جح وإيمان عميق ويقين ثابت ، يظهر ذلك في قول الله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء:83] .

كما قدم لنا القرآن الكريم نموذجًا عظيمًا في التماسك وعدم الذوبان في الآخر، ويتجلى هذا النموذج واضحًا في فتية الكهف الذين آمنوا بربهم ، وإلى ذلك تشير الآيات الكريمة :﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا ١٤ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٍۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾ [الكهف : 13- 16] .

ثم أجمل الله في القرآن الكريم كمالات الأسوة ومعالي القدوة في سيدنا محمد ﷺ فدعانا إلى التأسي به ، كما في قوله تعالى :﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب:21] .

وهكذا نجد أن القرآن الكريم قدم نماذج هادية للفضيلة كي تكون عونًا للمؤمن في المجال العملي ليكون على درب الصالحين والفالحين .

«أما عن آفاق التربية القرآنية فهي تشمل علاقة العبد بربه ،وتشمل علاقة العبد بنفسه ، وتشمل علاقة العبد بغيره من الناس ، وتشمل علاقته بكل المخلوقات وبالكون من حوله ، ولكل علاقة من هذه العلاقات آداب وهدايات يرقى بها الإنسان إلى منازل الرضا ودرجات المقربين ، ويتحول الإنسان بهذه الآداب وتلك الهاديات من إنسان كنود هلوع جزوع إلى إنسان يشكر ربه : يرجو خيره ويأمن سوء العاقبة يعفو ويتسامح ويغفر ، ويعطي ويؤثر على الخير سبَّاق ،وإلى مرضاة ربه يسارع ، كيف لا والله – سبحانه وتعالى – يقول : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:9] .

المنهج القرآني لتربية النفس :

الصلاح والمداواة قبل العقاب والمجازاة والتدرج قبل القهر . حقيقة يقوم عليها منهج القرآن في تربية النفوس ، حيث يركز القرآن على غرس حب الفضائل وبغض الرذائل في النفوس ؛ كي يكون الخير نابعًا من داخل النفس الزكية وليس مفروضًا عليها بقوة من خارجها ، فيقظة الضمير وتربية الإحساس بأن الله رقيب علينا أمر أساسي في تربية القرآن للنفس ، ومن الآيات التي نجد فيها هذه الحقيقة قول الله تعالى : ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الملك :13] .

وبهذا حوَّل القرآن مجتمع الهمجية والعدوان الجاهلي إلى مجتمع آمن يأمن فيه الناس على أعراضهم وأموالهم .

وهدي القرآن الكريم في تزكية النفوس لا يصادر الغرائز وإنما يهذبها ويتدرج في علاجها ويجعل لها وسائل إشباع من الحلال ، كما يربِّي القرآن في النفس القدرة على التحكم في المشاعر والسيطرة على الانفعالات الجامحة التي تؤدي إلى

ارتكاب الشرور والحماقات ويقول مادحًا :﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:134] .

كما يبث القرآن في النفس روح الإخاء وحب العطاء ، ولا يجعل التفاضل بين الناس بلونٍ أو لغة أو جنس أو مال أو غنى وإنما بالعمل الصالح ومكارم الأخلاق.

وقد رسم القرآن المنهاج العملي للإنسان ليرقى لمنزلة خير أمة أخرجت للناس إن هو اتبع هذا المنهج وطبقه في حياته .

*فبين أسس علاقته بربه ومولاه : أن يعبده ولا يشرك به شيئًا ، قال تعالى :﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:11] .

*وبيَّن القرآن علاقة الإنسان بنفسه التي سوَّاها ربنا بقدرته ، قال تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس :7- 8] .

*ووضح الله علاقة الإنسان بالكون : أن يتأمله وينظر فيه ليهتدي به إلى خالقه ومبدعه ، قال تعالى :﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود:6] . وقال تعالى : ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:101] .

*ووضح الله للإنسان علاقته بالحياة الدنيا . أن يتخذها مزرعة للدار الآخرة ، قال تعالى : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:201] .

*ووضح علاقة الإنسان بأسرته ، فأقامها على المودة والرحمة ، قال تعالى : ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:21] ،وجعل الله إكرام الوالدين عبادة فقال تعالى :﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة:83] .

*ووضحت آيات القرآن علاقة الإنسان بجيرانه وإخوانه من حوله ، كما رسمتن الآيات الآداب الرفيعة التي يتعامل بها الإنسان في مجتمعه مع كل الناس فيه من ذلك ما جاء فيوصف عبدا الرحمن ، قال تعالى :﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ [الفرقان:63] .

وأوضح القرآن العظيم علاقة المؤمنين به بأمتهم الكبرى بالاتصال بشعوبها ودولها والتواصل معهم والتضامن والتوحد معهم بالتعارف والتعاون وتبادل الخبرات والمصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟؟؟؟؟ وتوصلا للخير يَعُمَّ الجميع فيقول : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران:104] والآية دعوة للبناء والتعمير والتقدم وإعداد المسلمين لكل ما يستطيعون من قوة مادية ومعنوية في كل دولة من دولهم إذ يقول القرآن العظيم : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ ﴾ [الأنفال:60] . والعمل بكل وسائل الخير والمصلحة والإصلاح والصلاح والبعد عن كل مضرة وكل أوجه التخلف الضار والتفرق والفرقة التي تؤدي في النهاية إلى الفشل والضعف والتأخر فيقول :﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:103] . ويجب الامتثال والطاعة لله ولرسوله وللدين الخاتم فيقول : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال:46] .

إن القرآن العظيم هو البذرة الإلهية التي نبتت منها الشجرة الفارهة المثمرة للحضارة التي أقامها المؤمنون به الفاهمون له الفهم الصحيح وامتدت عبر عصورها الذهبية المزدهرة لسنوات طويلة(1) وسيظل هذا القرآن العظيم دائمًا هو المنارة

(1) والأندلس مثالها الأبرز .

الهادية للناس كافة في هذه الإنسانية عامة وللأمة المؤمنة به خاصة وشعوبها في كل دولها وأوطانها ومجتمعاتهم، يضيء بالنور والهداية طريق نهضتها وخطوات الإصلاح والتقدم فيها يقول : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:153] .

ومن هذا الفهم لآيات القرآن قال فضيلة الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر محقًا تمامًا : «إن البحث النزيه المنصف لابد له أن ينتهي إلى أن الإسلام برئ من بربرية وهمجية الأعمال الإرهابية ولا علاقة له بها لا نشاة ولا غاية ولا دعما بأي لون من أنواع الدعم حيث أن فلسفة الإسلام (والقرآن) في التعامل مع الآخرين لا تعرف مبدأ الصراع ولا التصنيف بين اسود وأبيض ولا بين شرقي وغربي وإنما تعرف مبدأ واحدا فقط في معاملة الناس هو مبدأ التعارف والقرآن لا يأمر بالحروب التي تفض على القتل وسفك الدماء وتشريد الآمنين وجنى الأرباح من مصانع الموت والتدمير والتفجير ومن هنا كانت الحرب في الإسلام (والقرآن) استثناءًا لا يُلجأ إليه إلا بحكم الضرورات القصوى التي لا محيد عنها بحال من الأحوال ... وإن المسلمين هم الضحايا الأكبر للإرهاب وأنهم المستهدفون بأسلحته وبطريقته البشعة في القتل وإزهاق الأرواح .. »(1) انتهى .

كذلك أكد فضيلة شيخ الأزهر الحالي الدكتور أحمد الطيب لرئيس أساقفة كانتربري السابق اللود البريطاني جورج كاري مؤخرًا أن الأزهر يؤمن بأن الحوار بين الثقافات والأديان يجب أن ينتقل من الإطار النظري إلى التطبيق العملي في المجتمعات والاستفادة من طاقات الشباب وأفكارهم في تعزيز قيم السلام والتعايش وكسر حدة التوتر من اتباع الديانات حول العالم مؤكدًا أن الأزهر الشريف (وهو القيادة الدينية الوسطية في مصر) وكنسية كانتربري مؤهلان للقيام

(1) في محاضرة لفضيلته ألقاها في سلطنة بروناوي بحضور برناوي الحاج حسن البلقية في 7 مايو 1918 م

بدور كبير في إيجاد تفاهمات بين الشرق والغرب وفي نفس هذا الحوار والتفاهم بين الاثنين أكد السفير البريطاني في القاهرة حاجة الدول الأوربية إلى خطاب الأزهر ومنهجه الوسطي فيتحقيق الاستقرار الاجتماعي في ظل التعدد الثقافي وأكد أن رسائل الإمام الأكبر شيخ الأزهر وخطاباته إلى الغرب تحقق الهدف المنشود وتدعو المسلمين في الغرب للاندماج الإيجابي في مجتمعاتهم .

القرآن ويوم القيامة

وفجأة .. وبغتة .. ومن حيث لا يشعر الناس يفاجأ الإنسان بالأحداث الجسام للانقلاب الكبير العظيم الذي يحصل في واقع الأرض الذي يحياه الناس واعتادوا عليه ولا يستطيعون دفعة . في سورة الزلزلة يقول القرآن العظيم : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ . إن القرآن العظيم ينذر البشرية والإنسانية بيوم الزلزلة لتحسب حسابها وهي مقدمة يوم القيامة وأحداثه المفزعة وأهواله المرعبة ورهبتها الهائلة والتي يصفها لنا في كثير من آيات سوره ويتوعدنا بحصولها منذرًا لنا لعلّ ذلك يجعلنا نتقي شر ذلك اليوم وأحداثه النظام أو يُحدث لنا ذكرًا ،وقد يسَّر الله القرآن للذكر ولكنه يقول : ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ في سورة القمر وقد ؟؟؟؟؟؟ سبحانه بالكثير من أنواع المواعظ والعبر وصرَّف فيه الكثير من الوعد والوعيد ليعتبر ويتعظ الناس ويقول مثلاً في الآية 97 من سورة مريم : ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾.أي زوي لَدو وشدة في الخصومة بالباطل وكذلك جاء في الآية 58 من سورة الدخان :﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.أي يتعظون فيؤمنوا به ويعلموا بهديه وهداه لينجوا بأنفسهم في الدنيا وفي الآخرة .

إن القرآن العظيم نذير من النذر الأولى بيوم القيامة فقد اقترب للناس حسابهم

وهم في غفلة معرضون ، ما ينظرون إلا صيحة واحدة وهم يخصمون ويختصمون ويتخاصمون ولكنهم لا يستطيعون وضع أو تجنب أحداث القيامة التي تأتيهم : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يس 50] ويحدثنا القرآن العظيم في سورة النجم عن اقتراب يوم القيامة الموعود فيقول (أزمة الأزمة) وباعتبار القرآن نذير من النذر الأولى لاقتراب ذلك اليوم الموعود فيقول : ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴾ [56 – 62] .

وفي سورة الأنبياء يقول القرآن العظيم في الآيتين الأولى والثانية : ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

وفي الآية السابقة والتسعين في نفس السورة يقول : ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ والحق كما يقول الله لرسوله الخاتم في سورة طه في القرآن العظيم : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [15 – 16] .

ولقد تحدث القرآن العظيم عن يوم القيامة والساعة التي تأتي الإنسان في الأرض بغتة وعن ظواهرها وأحداثها ووقوف وحال الناس يومها وساعتها فقال على سبيل المثال ولي س الحصر :

1 – ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة:1 – 5] .

2 – ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ [المزمل:17] .

3-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴾ [الحج:1- 2] .

4-﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴾ [الانفطار :1- 4] .

وقد حدثنا القرآن العظيم عن صور أخرى ليوم القيامة فيسور أخرى مثل سورة الحاقة (13- 18) . والمعارج (8- 18) ، والقيامة (5- 15) . والمرسلات (7- 13) .والنبأ (17- 28) . والنازعات (6- 14) . والتكوير (1- 14) والانشقاق (1- 5) وغيرها من السور القرآنية ، والقرآن يريد من كل إنسان أن يظل على ذكر دائم بأمر الساعة أو القيامة واليوم الآخر لما لذلك من أثر نفسي وعقلي وقلبي وأخلاقي بالغ الأهمية فيسلوك الإنسان الفردي والمجتمعي وكذلك على المجتمعات والشعوب في صلتها ببعضها في الحياة الدنيا في مراقبة لربها وإتباع لهديه وتعارف وتعاون فيما بينها .

طبيعة الخطاب القرآني

إن الناظر والمتأمل في الخطاب القرآني يرى أنه جاء مُوجهًا للناس كافة لأنه يتحدث عن الله رب العالمين ، رب الناس وملك الناس وإله الناس كل الناس .

لذلك جاءت نداءات القرآن العظيم خالية من أي نزعة أو طابع عنصري أو إقليمي أو طبقي جاءت النداءات القرآنية موجهة أحيانًا إلى كل الناس وأحيانًا إلى أهل الكتاب . من اليهود والنصارى وأحيانًا إلى الذين آمنوا من الناس وأحيانًا إلى المسلمين كافة .. إلخ

وذلك يصل بنا إلى حقيقة يقينية ومؤكدة هي (عالمية القرآن) وبالتالي (عالمية الإسلام) و (عالمية نبي الإسلام) الذي أرسله ربه للناس كافة وشملت رسالته

الثقلين الإنس والجن .

إن القرآن هو دستور الإنسانية ورسالته فيها خير البشرية كي تتطهر من الطغيان والظلم والإفساد والعدوان والاقتتال والأهواء الضالة والمضلة والمفسدة للإنسان في أخلاقه في نفسه وفي حياته في مجتمعاته وأوطانه ودوله ، وحتى ترقى هذه الإنسانية إلى منارات الهدى والرحمة والعدالة والخير والسعادة والأمن والأمان والاستقرار والسلام للإنسان ، كل إنسان في كل مكان وزمان ، إن أكثر الناس من غير المؤمنين في جهالة لحقيقة القرآن ومفاهيمهم عنه إما مغلوطة أو ناقصة أو معدومة . وكما يقول الطبيب الفرنسي موريس بوكاي(1) : « إن الأحكام غير الصحيحة المؤسسة على مفاهيم مغلوطة والتي صدرت ضد الإسلام هي من الكثرة بحيث يصعب جدًا على المرء أن يكوّن فكرة سليمة عما عليه الإسلام في الواقع » ويقول أيضًا : « إن الأحكام المغلوطة تمامًا التي تصدر في الغرب عن الإسلام ناتجة عن الجهل حينًا وعن ؟؟؟؟؟ العامد وحينًا آخر ...» إن الإسلام طالما أسيء فهمه في بلادنا . انتهى .

***

توجيهات سكرتارية الفاتيكان لإقامة حوار مع المسلمين

ومن هنا كان التغير الكبير الذي حدث تجاه الإسلام وتجاه القرآن في السنوات الأخيرة بضرورة وثيقة سكرتارية الفاتيكان لشؤون غير المسيحيين وعنوانها :

«توجهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين » وهي تتكون من مائة

(1) في مفتتح كتابه «القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم » (MAURICE BUCAIOCCE)

وخمسين صفحة تقريبًا تنتمي على بسط ودحض نظرات المسيحيين الكلاسيكية أو الموروثة بالخطأ عن الإسلام وتقدم عرضا لما عليه الإسلام في الواقع ، وقد تناولت وثيقة الفاتيكان بالنقد عددًا من الأحكام الخاطئة الصادرة عن الإسلام من قبل خطأ عقيدة الجبر التي تعارضها آيات القرآن وتتبين فيها مسئولية الإنسان وما سيحكم به عليه مما فعل أو عمل أو تكلم وحرية اختيار العقيدة الدينية في القرآن كما في سورة البقرة في الآية 256 : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ وسورة الحج في الآية 78 : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾ وتعارض وثيقة الفاتيكان الفكرة الخطأ والشائعة إن الإسلام دين الخوف فترد الناس إلى الفكرة الصحيحة وهو أن الإسلام دين الحب حب الإنسان المتأصل في الإيمان بالله وأن المسلمين والمسيحيين يعبدون إلهاً واحدًا وقد ؟؟؟؟؟؟ الوثيقة الفكرة التي نُشرت خطأ والتي تقول بعدم كفاية الأخلاق الإسلامية والفكرة الخطأ التي نشرها كثير من اليهود والمسيحيين عن الجهاد وتعصب الإسلام .والآن في زماننا تثار أفكار خاطئة ومغلوطة عن صلة الإسلام بالإرهاب والتطرف وهو منها براء والقرآن منها براء وقد علق الدكتور موريس بوكاي في كتابه الذي أشرنا إليه سابقًا بقوله : « وإني لعلى يقين من أن دفاع الفاتيكان عن الإسلام سيثير دهشة كثير من معاصرينا سواء كانوا مسلمين أو يهود أو مسيحيين فذلك إعلان يتميز بإخلاص وبروح انفتاح يتباينان بشكل واضح عن مواقف الماضي ولكن كم هم قليلون حقًا الغربيون الذين عرفوا تلك المواقف الجديدة التي اتخذتها أعلى سلطات الكنسية الكاثوليكية وهكذا فإن ممثلوا العالمين المسلم والمسيحي على أعلى المستويات يتفاهمون بهذه الكيفية في إخلاصهم لرب واحد وفي احترامهم المتبادل لاختلافهم ويتفقون على إقامة حوار ديني . فمن الطبيعي والحال هذه أن تقام المقابلات بين مختلف جوانب الكتب المقدسة ، التوراة والإنجيل والقرآن ، وحتى تكون هذه المقابلة ذات قيمة يجب أن تكون الحجة العلمية المعتمد عليها ثابتة تمامًا أي

يقينية وألا تكون محل جدال والذين يتذمرون ويماطلون في قبول تدخل العلم في عملية تقيم الكتب المقدسة ينكرون أن العلم يستطيع أن يشكل مقياسًا في مقارنة ذات قيمة » انتهى .

وإن كان كل ما قيل هنا صحيح إلا أنه فيما يتعلق بالمقابلة بين القرآن وغيره من الكتب السماوية (كالتوراة والإنجيل) المتعادلان في المجال العلمي في العلوم المختلفة لا يشمل إلا ناحية واحدة فقط من النواحي العديدة الإعجازية في القرآن العظيم وهي ناحية الإعجاز العلمي دون غيره ومن أوجه الإعجاز التي ذكرناها سابقًا في كتابنا وهي كثيرة .

إننا سنجد في القرآن العظيم ما يمكننا معه أن نفهم ونتفهم هذا التوجه للفاتيكان ولرجال فيه يخفي على أكثر المؤمنين بالتوراة والإنجيل وأكثر أتباع الديانتين اليهودية والمسيحية والإسلامية أيضًا .ويكشف القرآن العظيم في آياته المنزلة والموحاة من الله رب العالمين الذي يعلم من كل إنسان من كل معتقد واتجاه ما يجهر به وما يخفيه وما يعلنه وما يسره وما يبديه وما يكتمه ويقول على سبيل المثال :

1 -﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة:144] .

2 -﴿ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:113- 115] .

3 -﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ

ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران:199] .

4-﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة:82- 85] .

وتجدر الإشارة إلى أن إجراء الحوار بين الثقافات والحضارات والأديان السماوية يعتبر عاملاً جوهريًا وأساسيًا في التقريب بين الشعوب وتعزيز التفاهم ورفع مستوى التواصل والترابط بينها .ولذلك فإن تعزيز وتدعيم التبادلات الثقافية للشعوب وأسس هذه الثقافات الدينية الإيمانية واحترام الهويات الثقافية لها المبنية على هذه الأسس من شأنه تطوير العلاقات بينها وهي العلاقات التي يدعو إليها القرآن ويدعمها وينمي أسسها ويؤيدها أنصار ومحبي السلام .

الأمم المتحدة وقرار الحوار بين الحضارات

وجدير بالذكر أنه في نوفمبر 1998 اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارًا اعتبرت فيه عام 2001 عام الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات وكان الهدف من القرار أساسًا – في تقديري – هو تطوير وتفصيل أواصر التعاون والتفاعل بين مختلف الشعوب والحضارات على قاعدة الاحترام المتبادل والفهم الصحيح المشترك . وأنه في الوقت الذي لا تؤيد فيه (العلمانية) ولا يهمها الحوار للتقارب بين الأديان وتركز هي وأنصارها والمؤمنين بها على الحوار بين الحضارات كبديل نجد أن الكنيسة المسيحية (الفاتيكان) قد طورت مفهوم الحوار بين الأديان وأبرزت موقفها في الوثيقة التي أصدرتها سكرتارية الفاتيكان

لشؤون غير المسيحيين والتي تناولنا أجزاء فيها فيما سبق .

إن الحضارات في معظمها ذات أصول دينية ولكنها إذا أصبحت في عصرنا تغلب المادة ومقاييسها الدنيوية البحتة على قوامها ومبناها بمفاهيم تستمد من أصول إما علمانية وإما ماسونية وإما صهيونية وإما شيوعية فلسفية مادية .بمحتويات لا دينية أو إلحادية تحارب الأديان السماوية وأخلاقياتها وتحارب الدين الإسلامي وقرآنه العظيم بصفة خاصة بشتى الوسائل وباعتبار ما يقوله هنتجتون : أن الإسلام هو المشكلة المبهمة بالنسبة للغرب في حين أن الصراع أو الصدام في حقيقة المر ليس بين الديانات السماوية ولا بين الحضارات المبنية على أسسها وإنما هو بين المصالح بمختلف أنواعها لأن الحضارات على اختلافها تشترك في قيم إنسانية رفيعة وثقافات متنوعة تتعايش في سلام وبمحبة تكون أو يجب أن تكون .

هذا وإن الموقف السائد لدى الأوساط العلمية في اليونسكو (UNEBCO) مثلا وغيرها منذ الثمانينيات يعترف بقيمة الثقافات الأخرى غير النسبية حتى أن المفوضية العالمية للثقافة والتنمية أكدت في تقرير لها عام 1995 بعنوان «التنوع البشري الخلاق» كيف أن مشاريع التنمية الاقتصادية التي لم تأخذ الثقافة في حسبانها باءت بالفشل وذكر التقرير « أن التنمية خارج السياق الإنساني والثقافي في نمو بلا روح » . ويلاحظ أن الفكر العلماني لم يستطع طرد الدين كلية من الدولة ولا من السياسة ولا من الحياة العامة في الغرب بل توصلت المجتمعات الغربية (لمعادلة التعايش) تزيد من تأكيد أن الحضارة الغربية حضارة مسيحية وهذا الوصف ليس للإساءة إليها وإنما هو لتقي حيدتها وموضوعيتها وعقلانيتها الخالصة وعدم قبولها لغيرها من الحضارات والثقافات وفي مفاهيم تبني على العولمة في سلبياتها .

ولما كان القرآن العظيم والنبي خاتم المرسلين يعتبر أن الناس سواسية في الإنسانية ولا فرق لعربي على أعجمي إلا بالتقوى أي بخشية الله والتحلي بمكارم الأخلاق الدينية فإنهم يهدفان بذلك إلى تعميق روح التفاهم بين الشعوب والتعاون بينهما والتعارف من أجل إزالة الخصومات وتخفيف حدة النزاعات ودرء الاختلافات بهدف إقرار السلام بين الدول والشعوب والأمم على اختلاف أجناسها وألوانها ولغاتها وثقافاتها وبالطبع معتقداتها الدينية ويقول القرآن العظيم في ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات:13] .

إن الدين في حقيقته وجوهره واحد لأن مصدره واحد ثابت لا يتغير وإن كان – كما يقول جورج برناردشو (1). وصل إلينا في أكثر من مائة إصدار – وفي ذلك يقول القرآن العظيم : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى:13] .

وكذلك كان الشاعر الألماني يوته (GOETHE) يقول في «الديوان الشرقي الغربي » : (إذا كان الإسلام يعني التسليم لله فإننا جميعًا نعيش ونموت مسلمين) . وهنا المفهوم للإسلام هو ما تدعوا إليه وتهدف إليه المسيحية أيضًا أي أن يُسلم الإنسان نفسه لله وبهذا المعنى يكون الدين عند الله هو الإسلام كما يقول القرآن . ويجب أن يكون معلومًا لكل الناس ولكل الأجيال ومراكز ومسئوليات القيادات فيها الحاجة الملحة لإجراء حوار ديني وحضاري يستطيع أن يساهم في بناء السلام العالمي ويُسكت صوت المتطرفين والأصوليين الذين روَّج لهم ولمبادئهم من هم أمثال : صمويل هينجتون دون أساس علمي سليم وبحيث

(1) 1856 – 1950 وهو كاتب مسرحي وفيلسوف إنجليزي إيرلندي المولد وكاتب ساخر .

يخلق ذلك جواً من الخوف والرعب يستغله أصحاب المصالح في تحقيق أغراضهم لمناهضة الجهود للسلام . كما وأن أسباب النزاعات ليست – كما يزعم هينجتون – في اختلاف الحضارات لأن الصدامات والنزاعات تنشأ أيضًا داخل الحضارة الواحدة مثل ما حدث في الحربين العالميتين في القرن الماضي وزاد فيهما الضحايا عن ستين مليونا من البشر وهو عدد لا يقارن بعدد ضحايا الحروب التي دارت بين أوربا والإسلام على مدى أربعة عشر قرنا من الزمان (1). ولم تكن هي القاعدة التي غلبت وتميزت بها العلاقات الإيجابية الحضارية بين أوربا والإسلام والتي تمثل الصورة الصحيحة غير المغلوطة تمامًا عن هذه العلاقات وبذلك يمكن القضاء على المفاهيم والمعولمات المنقوصة أو المغلوطة أو الخاطئة التي تصور وتروج للعداء المتبادل بين الجانبين .

القرآن وحضارة المسلمين السابقة

والذين يهاجمون الإسلام في الغرب لا يزالون يعتمدون على الحجج الجدلية القديمة العقيمة المنحدرة من العصور الوسطى في حين أن الظروف في العالم تغيرت تغيرًا تامًا وتتطلب حلولا واقعية للمشكلات القائمة وجهودًا مشتركة للتغلب وغزالة سوء وخطأ الفهم وتصورات العداء والصراع والداعين إليها من الجانبين . والمعروف أنه بعد نهاية الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالي والشيوعي (الغرب والاتحاد السوفيتي) تبنت إسرائيل فكرة ومقولة أن العدو الاستراتيجي القادم للحضارة الغربية هو الإسلام أو الأصولية الإسلامية .

وتبنى هذه الرؤية بعد ذلك اليمين الداريكالي في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الغرب بصفة عامة في تحالف مع اليمين الإسرائيلي المتطرف والمتشدد

(1) يراجع كتاب «الإسلام وقضايا الحوار » للدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف الأسبق في مصر / المترجم بمعرفة دكتور مصطفى ماهر إلى العربية

لتحقيق أهداف لسياسات منها المعلن المعروف ومنها الخفي غير المعروف تتعاون فيه الصهيونية مع الماسونية .

إن السلام المنشود في عالمنا الواحد لا يعني تذويب الحضارات في حضارة واحدة يفدها السبق العلمي والتقني والتكنولوجي بالقوة المادية وغير ذلك وإلغاء الخصوصيات للحضارات الأخرى فالتمايز الحضاري والديني من السمات الإيجابية التي ستظل قائمة على الرغم من الاتفاق في الأهداف وحتى العولمة التي بدأت تتغلغل في كل أنحاء العالم لا يجب ولا تستطيع أن تفرض حضاراتها وقيمها وثقافتها وأسلوب حياتها في كل أنحاء العالم دون اعتبار لخصوصيات الحضارات والأديان الأخرى وما فيها من قواسم مشتركة تعمل على إزكاء التسامح والتعاون والتعارف من أجل تحقيق سلام العالم يتمتع في ظله كل إنسان بالاستقرار والأمن والأمان بعيدًا عن تفاصيل عقائده في الإله الذي يعبده ويحاسبه عليه الله يوم القيامة في الآخرة وليكون الهدف في الدنيا للجميع كما ذكرت هو تحقيق السلام العالمي والتعاون والتعارف والتعايش السلمي بين الشعوب وبين الناس في مجتمعاتهم ودولهم وأوطانهم .

ومنذ تدهور وسقوط الحضارة الإسلامية لأسباب كثيرة ومتداخلة ومتشابكة تدنى مستوى المسلمين حتى صاروا محسوبين في عصرنا في عداد الشعوب المتأخرة والدول النامية التي يضرب فيها التخلف ومظاهره والانغلاق والجمود فضلاً عن التطرف والإرهاب عند جماعات ومجموعات منهم وينخر في دولها وفي أخلاقيات وسلوكيات شعوبها ابتعادها عن مبادئ وتعاليم هذا الدين وكتابه القرآن العظيم وسنة رسوله الكريم وتوجهاتهما. بينما وأن الفضل الأكبر يرجع إلى عرب إسبانيا في تقديم خلاصة الفكر العربي في العلوم والآداب والفلسفة إلى غرب أوروبا فضلاً عن تعريف الأوروبيين بكثير من تراث اليونان القديم.

إنه لا يعيب القرآن العظيم أن يكون مستوى حياة ومعيشة المسلمين المؤمنين

به مستوى متدني بالقياس إلى غيرهم كما أنه لا يعيب القرآن العظيم أن تكون الصلة تكاد تكون منقطعة بين حاضر واقع أهله إذا قارناه بما أنجزه السابقون من العلماء العرب والمسلمين من إنجازات كثيرة في المجال العلمي والمعرفي والبحث والابتكار فيهما وأقاموا بذلك في ماضيهم حضارة كانت سباقه على حضارات قامت في وقتهم ولم تزدهر في الغرب إلا مع بداية عصر النهضة في أوروبا.

ويقول المؤرخ جورج سارتون في كتابه «تاريخ العلم» (الكتاب الأول) : «إن المسلمين عباقرة الشرق في القرون الوسطى لهم مآثر عظمى على الإنسانية تتمثل في أنهم تولوا كتابة أعظم المؤلفات والدراسات قيمةً وأكثرها أصالةٌ وعمقًا مستخدمين في ذلك لغتهم العربية التي كانت بلا شك لغة العلم للجنس البشري في الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثامن الميلادي وحتى نهاية القرن الحادي عشر لدرجة أنه كان يتحتم على الشخص الذي يريد الإلمام بثقافة عصره وبأحدث ما يجري فيه من علوم أن يتعلم اللغة العربية» .

وهي نفس اللغة التي يتم بها التواصل مع القرآن العظيم في كل عصر ووقت وزمان متى توفر عند أهله الإخلاص والصدق والحرية والحيدة وعدم التحيز أو العداء والكره أو نقص أو انعدام أو خطأ المعلومات عندهم كما أن فقه العربية فقه بيانًا وهو أداة النظر في كتاب الله وفي كل أوجه إعجازه.

وكما قلنا فإن القرآن العظيم يوحد ولا يفرق بين القضيتين الدينية والعلمية فالعلم دين والدين علم وما جاء به الله في القرآن هو كما يقول ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف:52] وكما يقول ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود:1] وكما يقول ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ:

6] فالذي جاء به الله سبحانه وتعالى إلى نبيه محمد هو دين وعلم كما ذكر القرآن العظيم في الآية 120 والآية 145 من سورة البقرة، وكما أشار إلى القضية الدينية بمفهوم القضية العلمية في سور (مريم الآية 43) و (يوسف الآية 25) و (الأنبيا الآية 74) و(النمل الآية 35) و (القصص الآية 14) وغيرها.

والمتحدث في القضيتين (الدينية والعلمية) هو الله العليم الخبير والحكيم القدير بكمالاته المطلقة.

ومن الجدير بالذكر أن المسلمين في عصور نهضتهم السالفة التي مهد لها القرآن العظيم ورعاها أضافوا إلى مفهوم العلم النظري – الذي كان اليونانيون يتمسكون به – نهجاً جديداً هو استخدام العلم من أجل كشف أسرار العالم الطبيعية وتمكين الإنسان من السيطرة عليه واستغلاله لصالحه (المنهج التجريبي)+ (الحقائق الرياضية) وبذلك جمعوا بين النظرية والتطبيق في إطار حضارتهم التي قامت على مفهوم الإسلام الجامع بين الدين والدنيا، ولم تكن فكرة التعارض بين العلم والإيمان أو العلم والدين واردة في أذهانهم.

وقد أخذ الأوربيون من العلماء المسلمين معارفًا وعلومًا وأفكارًا وفنونًا ومخترعات جديدة أثناء احتكاكهم بهم في الأندلس وثقيلية وفي الحروب الصليبية في الشرق وغيرها مهدت للنهضة في أوروبا وفي الإصلاح الديني بها .

وكما يقول «بريفولت» في كتابه «بناء الإنسانية» : «لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن لم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة بل هناك مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باقورة أشعتها إلى الحياة الأوربية وليس هناك ناحيةٌ واحدة من نواحي الازدهار الأوربي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة وإن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة

لنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا .. إنه يدين لها بوجوده نفسه ».

القرآن والفرق بين الناس تجاه هذا الكتاب

في القرآن العظيم يقول الله تعالى رب العالمين :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء:9- 10] .

ولكل من كان قارئًا لكتابي أقول ما يقوله القرآن العظيم :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد 24] .

وأخيرًا فإن القرآن العظيم يفرق في مواقف الناس من هذا الكتاب الرباني بين المؤمنين وبين الكافرين الملحدين وبين المنافقين المخادعين فيقول في سورة البقرة ثاني سورة من سور المصحف : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [البقرة:1- 16] .

وبعد

فإن كل ما ذكرناه في كتابنا هذا مما تناوله القرآن العظيم ليس إلا نزرًا يسيرًا جدًا وقليلاً جدًا لا يقارن بما لم نذكره في كتابنا عما تناوله القرآن العظيم ، ومع ذلك فما ذكرناه يمكن أن نفهم ونتفهم معه ما يدعونا إليه ربنا الله تبارك وتعالى في هذا الكتاب الخاتم وكما في أصول كتبه السابقة وهو المصدق لها فيما يدعو إليه المؤمنين ويدعو غليه جميع بني الإنسان الشركاء في الإنسانية لتبين الحق ومعرفة الحقائق في الوجود وبين الدينوي والأخروي (عالمي الشهادة والغيب) واستشعار الحق والحقيقة وتذوق آيات الجمال والجلال والكمال في الكتاب المسطور (القرآن العظيم) وفي الكتاب المنظور (الكون العظيم) وحتى تنالنا كلنا رحمات الله وينالنا كلنا رضاه .

التوجه القرآني

اللهم يا وجاب الوجود لذاته [1]، خلقت كل شيء بتجليات أسمائك وصفاتك ، اللهم أشهدني مصنوعاتك ممحوة بآياتك ، وآياتك ممحوة بأسمائك وصفاتك وأسماءك وصفاتك مجلية بقدر عظمة ذاتك ، أنت نور السماوات والأرض وأنت قيوم لسماوات والأرض ، وأنت راحم الدنيا والآخرة ، وأنت رحمن الأولى والآخرة ، أسألك بكل اسم سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدًا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلب ، ونور بصري وبصيرتي ، ورفيقي في دنيا حقيقتي اللهم اجعله لي هاديًا واجعلني به مهديًا ، ووفقني لأكون به مهتديًا ، اللهم علمني منه ما جهلت وذكرني منه ما نسيت ، رب حبب إلىّ تلاوته ، وأعني عليه لأفهم مقالته ، واجعل لي في كل يوم قدرًا منه مذكورًا ، وقلبًا به معمورًا ، ووجودًا به مستورًا ، اللهم زدني

(1) واجب الوجود لذاته هو الذي لا يحتاج إلى سبب أو علة لوجوده ولا يفتقر إلى غيره في وجوده .

علمًا بآياته ،وفهمًا لكلماته ، اللهم أعني على ذكرك بالقرآن ، وشكرك بالفرقان ، وحسن عبادتك بالبرهان وفقهني في ديني حتى أرتل القرآن ترتيلا ، ويسر لي قراءته بالفهم تفسيرًا وتأويلاً ، حتى تنكشف لي حقائقه الظاهرة والباطنة ، بفقه وإتباع للشريعة في ظاهري ، وكشف واهتداء للحقيقة في باطني ، حتى يكون قلبي بيت لله معمور بالله ،ونفسي صافية في الله مطمئنة بالله ، وبدني محفوظ بلا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم اجعل لي في كل يوم وليلة من القرآن وردًا مورودًا ، وسلوكًا محمودًا ، وسندًا ممدودًا ، وحافظًا موجودًا ، واجعله حفيظي من الشيطان ، ومن شر كل إنس وجان ، اللهم أمدني بنور من نور القرآن ، وأخلاق من هدْي القرآن ، وطاقة من روح القرآن ، وحكمة من فرقان القرآن ، واجعلني لآيات القرآن عبدًا مطيعًا ، ولحكمة القرآن عبدًا سميعًا ، واجعله لي من المعاصي سدًا منيعًا ، ويوم القيامة شاهدًا وشفيعًا ، لا إله أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .